# التخطيطُ اللغويُّ لاستعمال العربيّة في العلوم

# Language planning for the use of Arabic in science

د. مهدي صالح سلطان
جامعة بغداد ـ كليّة الآداب

Dr. Mahdi Salih Sultan
Baghdad University
Collegue of Arts

## ملخص البحث

سلّط هذا البحث الضوء على التفكير لما يُيسّرُ لغة العلم والتخصّص ، وتخطيط تحسين الأداء اللغويّ يتعاون فيه أهل العلم المحض وأهل اللغة، خدمة للعلم والمجتمع، في زمن العولمة التي هي من أصعب الأزمان على العربية وأهلها / والله الموفق .

## Abstract

Keywords: National Language / Language Performance / Global Languages / Planning

This research highlighted the thinking that facilitates using the language of science and specialization, planning and improving the linguistic performance in which the pure sciences scholars and the linguistics cooperate to serve science and society in the era of globalization, which is the most difficult time for the Arabic and its people.

May God be our guide

.

## مقدّمة

يعاني الكثيرُ من المختصّينَ وربما بعض الأساتذة من عدم القدرة على التعبير السليم عمّا يفكّرون في اختصاصهم العلميّ تعبيرًا علميًّا واضحًا يُفهِمون به من يُخاطبون ، بلغة عربيّة صحيحة خالية من الأغلاط الصوتية أو الصرفية أو التركيبيّة أو الدلالية ، وهذا الضعف نتيجة من نتائج ترك الفصيحة في تداول العلوم ، ذلك للركّون المباشر أو غير المباشر للّغة الأجنبيّة ، أو إلى المترجمات الضعيفة ، وربما كان ذلك بسبب ابعادِ المعنيّين المتخصّصين بالعلوم عن استعمال لغتهم الوطنيّة الفصيحة التي تعلّموا بحسبها في مراحل التعليم العام ، فإذا ما تجشّم المتخصّص صياغةَ رأيٍ ، أو كتابة فكرة ، ارتبك أسلوبُه ، واختلّت عبارته وجملته ، واضطربت مفرداته ومصطلحاته ، ذلك لانفصاله عن التفكير الخالص بلغته ، ولتزاحم التراكيب الغريبة عليه ، ولعدم تمكّنه من ترجمة المصطلحات الأجنبيّة إلى مخاطَبِه بيسرٍ وسهولة ، ولو تعلّم هذا المختصُّ بحسْبِ لغته ، وعانى التفكير في تعريب نصوص علمه ومصطلحاته بنفسه تعريبًا رائقًا لما كانت هذه المشكلة العلميّة اللغويّة تلازمه كظلّه، نقول هذا لأنّ التوجّه والتخطيط العلميّين جزء لا يتجزّأ من البحث العلمي، واللغة العلميّة ومصطلحاتها من ضمن الابداع العلمي، ومن ضمن ما يجب أنْ يواجهه المتخصّص، إذ إنّ الانفصال بين اللغة الوطنيّة ومستعملها هو باب من أبواب الخلل في الفَهم والافهام وضعف الاتصال بالمجتمع .

فهل أُعِدَّ المتخصّص لاستعمال لغته الوطنيّة علميًّا ؟

وهل هُيِّئَ العِلمُ ، ودُرّب المتعلمُ ، لتكونَ ثمرةُ العلمِ في متناولِ المجتمع وبلغته ؟

وهل من تدبيرٍ يعالج القصور عن أداء الموضوعات العلميّة بلغة سائغة ؟

وهل من سعيٍ جامعيٍّ يناسب لغةَ كلِّ علمٍ يقوّمُ ما يُنشر لغويًّا ؟

هذا البحث سعيٌ في التفكير لما يُيسّرُ لغة العلم والتخصّص ، وتخطيط تحسين الأداء اللغويّ يتعاون فيه أهل العلم المحض وأهل اللغة، خدمة للعلم والمجتمع، في زمن العولمة التي هي من أصعب الأزمان على العربية وأهلها

.

## تخطيط تحسين الأداء اللغويّ

(يشير مصطلح التخطيط اللغوي إلى الجهود الحثيثة للتأثير في سلوك الآخرين بما يتعلّق بالتحصيل اللغويّ وبنية اللغة ، وتحديد وظائفها، ويتضمّن ذلك تطوير الأهداف والاستراتيجيات لتغيير كيفية استخدام الأشخاص للغة ... ووضع المعايير في التحديث وبناء الأمة) [ويكيبديا الموسوعة الحرة الانترنت].

والتخطيط اللغويّ الوطنيّ هو (الذي يرسم السياسة اللغويّة للأمّة ... من حيث مكانتها، ووظيفتها ... وطريقة تعليمها وتعلمّها) [موقع مجمع اللغة الأردني ، بحث الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق الزبون ] .

ويُراد منه في بحثنا هذا التدخل لتحسين الأداء اللغويّ ، ووضع الأسس الصحيحة لاستعمال العربيّة بين متداولي العلوم ، ذلك جزءٌ مهمٌّ من التفكير في نهوض المجتمع اعتمادًا على التهيئة والتخطيط (Language planing) ، لا مجرّد الجَهد والاجتهاد الشخصيّ المحدود الأثر ، الذي قد يظهر هنا أو هناك ، وقد قال أحد الباحثين : إنّ اللغة (تفعل بالفكر ما تفعله العجلة بالأقدام والجسم ، فهي التي تمكّنه من الانتقال من موضوع إلى آخر بأسرع وأسهل طريقة من جهة ، كما أنّ هذا التمثيل يتفق ومفهوم الأغراض أو الوظائف المختلفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع من جهة أخرى) [اللغة والثقافة ، د . كريم زكي ٢٥] .

وهذا التوجّه أو ما اصطُلِح عليه (التخطيط اللغويّ)

معروف ، ولاسيما ما أسّسته بعض الحضارات ، وفرضته بعض الأمم في سبيل اتساعها ورقيّها ، ومنها النهضة العربية الإسلاميّة التي اعتنت بلغة القرآن الكريم ، لغةً للدين والدولة والمجتمع والعلم والحياة .

وقد ارتبطت نهضتنا الفكرية ارتباطاً واضحاً بالنهضة اللغوية ، وليس هذا غريباً ، لأنّ المعجزة القرآنيّة معجزة لغويّة ، لذلك كانت هذه اللغة هي التي تفصح عن هذا الفكر ، وترسّخ انتماءه ووجهته ، مثلما كانت قديماً ، ويطلب أنْ تكون كذلك في الحاضر والمستقبل ؛ ذلك لأنّ ترسيخ المنطق العلمي في التأسيس لوعي ما في الكون في هذا العصر ، هو الأهمّ في (صناعة الإنسان ـ تلك التي ـ تتقدّم على صناعة المحرّك) [مجلة آفاق الثقافة ، الرفاعي ص ٥٤] .

ومن أهم أدوات ترسيخ هذا المنطق عدُّ اللغةِ العربية المعبّر عن الشخصية الوطنية ، لأنّ بها يتأكّد الانتماء ، وبها يتحقق الاندفاع نحو النهوض . فالذين يبحثون عن لغة أخرى ، ويتصورّون أنها أفضل من اللغة العربية ، ويحتجّون بأي حجة من الحجج ، أو يحاولون جعل اللغة الأخرى بديلا عنها يعملون من حيث يشعرون أو لا يشعرون على تفتيت الشخصية الوطنية ، والتنكّر لتاريخها ، والعمل على هدم مستقبلها [ينظر : الصراع بين القديم والجديد ، د . محمد الكتاني ٢٤] .

ونذِكّرُ هؤلاء العلماء بجهود أسلافهم من مثل الكندي ، وجابر بن حيان ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والبيروني ، والخوارزمي ، والرازي ، والزهراوي ، وابن النفيس ، وابن رشد ، وغيرهم وغيرهم ... من الذين عرضوا ابداعاتهم بلغة عربيّة سائغة ، وأساليب علميّة ممتازة ، في الطب والكيمياء والرياضيّات والهندسة والفلك وسائر العلوم ، مطوّعين لغتهم العربيّة لتستوعب لغة هذه العلوم ومصطلحاتها ، فكانوا فخرَ مجتمعِهم ووسيلته إلى نقل العلوم ، والأخذِ بنهضة علميّة جديدة في حينها ، تنسب إلى قرون التفوّق العلمي الإسلامي ، وقد كان لهؤلاء العلماء الأفاضل الفضل الكبير في تفجير امكانات اللغة العربيّة ، ورفع لوائها ، فيما يسعى أحفادهم ـ في هذا العصر ـ إلى اماتة لغة القرآن الكريم ، وابدالها بغيرها ، ولم يلتفتوا إلى استعمال الأمم للغاتها في العلم ، ولاسيّما جوارهم الجغرافي كتركيا وإيران ، فضلاً عن لحظِ احياء العبرانية الميّتة واستعمالها لغة علميّة ، وهي لغة من اغتصب أرضهم ومقدساتهم [في المصطلح ولغة العلم ١٢٥] ، ونذكّرهم أيضًا بقوله تعالى : ((لسانُ الذي يُلحِدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربيٌّ مبين ـ النحل ١٠٣)) ، ))أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ـ البقرة ٦١)) ؟ ))ما لكم كيف تحكمون ـ القلم ٣٦)) ؟ ! ... ونعرض على هؤلاء المختصين التساؤلات المشروعة الآتية :

من نحن ؟ وماذا نريد ؟ أنلغي وجودنا وما يناسبنا لمصلحة الغربيين ؟ !

أم نحوّل ما عندهم من علم إلى لغتنا ومجتمعنا ؟

أوَ نتنازلُ عمّا عندنا لنكون مجرد ناقلين لما عندهم؟!

أم نتفاعل مع ما عندهم ؟ ونحافظ على شخصيتنا الحضارية ؟

أنعي أنّ الاستسلام سيمسخ شخصيّة مجتمعنا مستقبلاً ؟! [في المصطلح ولغة العلم ٢٥].

وهذا ما سيحوّلنا تحوّلا أعمى إلى كيان الغرب الذي يقف ضدّ قضايانا المركزية، مبتعدين عن أهلنا ، مستسلمين لنتائج الصراع الذي فرضه علينا عدوّنا .

## الصراع اللغويّ في هذا العصر

معروفٌ أنّ ابن حزم يربط قوّة اللغة بمخرّجات الصراع السياسي ، إذ يرى أنّ تراجع اللغة بتراجع مكانة أهلها ، فيسقُطُ أكثرُ اللغة ويبطلُ بسقوط دولةِ أهلها ، ويتسلّل غيرُهم إليهم، وعنده أنّ نشاط لغة

الأمة وعلومها بقوة دولتها، وأمّا من ضعفت دولتهم وغلب عليهم عدوّهم، اشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم ، فمضمونٌ منهم التبعية وموت الخواطر، وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم ، وتراجع أخبارهم وبيود علومهم [ الإحكام في أصول الأحكام ٣٢/١] .

ونقول : إنّ الذين يتخذون لغة الغربيين يجدون ـ لو راجعوا وتتبّعوا وتأمّلوا ـ أنّ التاريخ الأوروبي الحديث يؤكّدُ أنّ نهضة الأمم الغربية الحديثة استندت إلى مثل ما ندعو إليه، ونفكر به، في هذا البحث من الربط بين اللغة والنهضة، فمن المنطلقات التأسيسية ما هو علمي، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو اجتماعي؛ وكانت اللغة قد احتلت عند الغربيّين المكانة المرموقة، بين هذه العوامل ؛ مثلما كان الشأن في بدء نهضتنا العربية في التاريخ الإسلامي [الصراع بين القديم والجديد د . محمد الكتاني ٢٥] ، والنهضة الحقيقية التي ننشدها لن تكون من دون نهضة لغوية ، ولن يكتب لها النجاح ، وستظلّ هجينة شكليّة ، وتابعة غير أصيلة [في المصطلح ولغة العلم ٢٢] .

وهذا الربط معروف منذ القدم ، عند الغربيين والشرقيين ، إذ يُحكى أنّ (ملك الصين وجّه قديمًا السؤال الآتي إلى الفيلسوف (كونفوشيوس) : أريد أن أُصلِحَ مملكتي ، فبماذا أبدأ ؟ فأجابه الفيلسوف : ابدأ بإصلاح اللغة) [العربيّة وتحدّيات العصر ، محمود أحمد السيّد ٣٦] .

فتطوّرُ العلوم والمعرفة مرهون بتطوّر اللغة أو تطويرها ، وهي نتيجة يمكن أنْ تصاغ على نحو آخر ، إنّ من المحال تحقيقَ تطوّرِ الإنسان أو ترقـيه ما لم يسبق ذلك تغيير علاقته باللغة أو تطوير احساسه بها ، واقداره على التأثّر بها والتواصل معها ، وفي هذا السياق تردُ أفكار بعض المفكرين ودعوات بعض الفلاسفة من قادة القوميات الغربية في العصور الحديثة بشأن أثر اللغة في خلق الفكر، وتأسيس الشخصية القومية ، وتأهيل الإنسان للإبداع ؛ (فهذا هردر Herder الألماني يعلن أنّ رؤية الإنسان للعالم راجعة بالأساس إلى النسق اللغوي التي ينشئها انشاءً ، وأنّ لغة الأمة تتضمّن هذه الرؤية ، التي توجّه الأفراد وتوحّد بينهم داخلها ؛ فاللغة ليست أداة أو وسيلة وحسب ، بل هي أكثر من ذلك بالنسبة للأمة ولفكر الأمة ، فهي الكلّ الحضاري والمستودع الثقافي والشكل الفكري) [مجلة الفكر التونسية ، نور الدين كريدس ٢٩ ] .

ومعلومٌ أنّ الدول الاستعماريّة فرضت (لغاتها على الشعوب المستعمَرة في آسيا وأفريقيا والامريكتين ، وهذا يمثّل سياسة وتخطيطًا لغويًّا واضحًا يهدف إلى نشر لغة المستعمر وثقافته ، ويضمن تبعيّة شعوب المستعمرات اللغويّة والثقافية والتعليمية والاقتصادية للمستعمر حتى بعد رحيله ، وهذا ما أثبتته التجارب بالفعل ... فتقاسمت فرنسا وبريطانيا مستعمراتهما لغويًّا ... وامتدّ [ذلك] إلى العولمة اللغوية ... ودعمت الولايات المتحدة وبريطانيا تعليم اللغة الإنكليزيّة دول العالم دعمًا ماديًّا ومعنويًّا لا مثيل له في التاريخ ... من خلال مؤسسات تتدثّر بالتعاون التعليمي أو العسكري أو الاقتصادي ... ودعم نشر المدارس والجامعات الأجنبية والمدارس التبشيرية في دول الفرانكفونيّة والكومنولث وغيرها من دول العالم الثالث) [السياسة والتخطيط اللغوي من الاستعمار إلى العولمة ، أيوب العراقي ، موقع المؤسسة العراقية للتنمية والتطوير] .

أمّا في عصر العولمة فإنّ مجموعة قليلة من اللغات كانت قد استحوذت على مفردات الحداثة وتطوّر العلوم والتقانات في ظلّ تعاظم الاتصالات المتخصّصة، وقد غلبت هذه المجموعة غيرها، إذ هي مصدر المستحدثات ومصطلحاتها، وهي (تتولّى اليوم نقل الحداثة بواسطة مفردات وألفاظ خاصة ، في حين إنّ اللغات الأخرى تقتصر على اقتراض هذه

المفردات...فالنزعة الغالبة اليوم تتمثّل في التحدّث عن المعلوماتيّة مثلاً باستعمال المفردات الإنجليزية) [السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي ٥٦] .

## مستقبل اللغة وعالميّتها

ربّما يخجل بعض كبار علمائنا من الذين تشبّعوا بالفكر الغربي من ربط النهوض العربي في هذا العصر بالدين والتراث، غير أنّ نموذج النهوض الغربي الفرنسيّ مثلاً كان قد ربط نشاط فرنسا وعملها وتدخّلها في صورة اللغة ورفع منزلتها الدوليّة في الداخل والخارج، ولاسيما بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) ، التي وحّدت الشعب الفرنسي وتبنّت الزاميّة التعليم ، وجعلت الفرنسيّة لغة الدولة، وأعادت تنظيم التعليم العالي، ففي نحو قرن ارتفعت اللغة والثقافة الفرنسية بفضل مختلف القنوات، إذ يُنسب إلى الجمعيّات الدينيّة والمساعدات الممنوحة إلى المدارس المسيحية والاعانات الماليّة للمبشّرين الكاثوليك أو البروتستانت وكذلك التحالف الإسرائيلي العالمي، ذلك النشاط الذي أبرز مكانة الثقافة الفرنسيّة، وانتشار اللغة الفرنسية واتّساعها إلى أكثر من ثلاثين دولة [السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي ١١٠].

أمّا ترتيب اللغات بحسب الرقيّ والأهميّة والمكانة فتتفاوت نظرات المتخصّصين إلى تصنيفها، استنادًا إلى عدد الناطقين، أو الوظائف التي تؤدّيها، أو البعد الرمزيّ، أو البعد التاريخي أو الديني، أو النظر إلى حجم الانتاج اللغويّ المحقّق في اللغة وطبيعة الكفاءة اللغوية لدى الناطقين بها، أو إلى استعمالها، أو درجة الاعتراف بها، أو امكانيّة أدائها الوظائف التي تسند إليها [السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي ٤٤] ؛ وقد استقرّ أنّ الأهمّيّة تتحقّق من استشراف الوظائف التي تضطلع بها اللغات، ومن هذه الوظائف أنْ تكون : رسمية (منمّطة standardization ، تستعمل من عدد من متعلمين) ، وطنيّة (أصيلة ، واسعة لابديل لها، رمز الأصالة والهويّة الوطنيّة)، مشتركة (مُوَحِّدة مميّزة قابلة للتعليم)، عالميّة (موجودة في قائمة اللغات العالمية)، مدرسيّة، دينيّة؛ لكنّ فازولد واضع هذه الوظائف لقائمة اللغات العالمية التي يَصْدُقُ عليها هذا الوصف ، (يذكر الإنجليزية والإسبانية والروسية والألمانية...ضاربًا صفحًا عن لغات مثل العربية والسواحلية...) [م . س . ن] على الرغم من حيازتها الشروط التي اشترطها والأوصاف التي أطلقها .

## الحاجة إلى التفكير في التغيير

تتجدّد الحاجة في مواجهة السعي لفرض لغة الأجنبي توحيد المجتمع وبناء هُويّة الدولة الوطنيّة وتنميتها وترسيخ ثقافتها، وهذا من ضمن التفكير في حماية اللغة العربيّة، والاستجابة لما تريد أنْ تفرضه متطلّبات العولمة والصراع اللغويّ، الذي تهيمن فيه اللغة الإنكليزية وبعدها الفرنسيّة، إذ لا بُدّ من بناء مناهج وتطبيقات تناسب التحدّيات، وتحقّق الأهداف المرجوّة، وهذا يرتبط بسياسة الدول وامكاناتها وتوجّهاتها وخططها في المستويات العليا ، وأدنى منها الكيانات العلميّة المستقلة، على الرغم من أنّ هذه الكيانات تتصل بها وتسندها، ومنها الجامعات ومراكز البحث العلمي، وما يعنينا مباشرة في هذا البحث هو الجامعات وما يرتبط بها .

وهنا لا بُدّ من التمييز بين تخطيطين : الأوّل : التخطيط الاجباري كتدخّل أتاتورك الذي فرض التغيير على اللغة التركيّة، أو كتدخل الاتحاد السوفيتي السابق في توحيد خطاب جمهوريّاته، أو سعي الصين لفرض اصلاح لغويّ يوحّد المجتمع الصيني على لغة مشتركة، على وفق لهجة العاصمة بيكين عام ١٩٥٦م ، والثاني : التخطيط التحفيزي كجهود الجامعات والجمعيّات؛ (ويشترك التخطيطان في مجموعات من النقاط ... تحليل الآفاق على المديين المتوسط والبعيد ... والصياغة فالتنفيذ...

وفي الأخير قد يكون التخطيط [ومراحل التنفيذ] محل تقويم) [م . س ١٥ ، ٧٨ ـ ٧٩] .

والمتاح لنا في هذا البحث التفكير في التخطيط اللغويّ الجامعيّ التحفيزيُّ، الذي هو نشاطٌ علميٌّ للتأثير في التعليم اللغويّ السائد وتحسينه واعادة تقويمه، وذلك بعد تشخيص ضَعفِ الأداء المهاريّ اللغويّ العربيّ ، والحوار في السّبل المؤدّية لبناء ما يحقّقُ الأفضل، واتّخاذ الطرائق الصحيحة للوصول إليه ، ومن ثمّ تقويم لما يتحقّق منه في مرحلة التنفيذ ، والخطوة الأولى في حلّ مشكلة العربية والعلوم «بعد التخطيط» هي في قصد التواصل واستعمال اللغة العربيّة استعمالاً صحيحًا فصيحًا ، واختيار المتمكّنين من أداء مهمات التغيير، لا في كثرة اصدار القرارات والتوصيات ، إذ نحن بين رأيين مختلفين ، الأوّل يقول : (إنّ اللغات لا تفرض بقرار ، وبأنّها نتاج التاريخ وممارسة الناطقين وبأنّا تتطوّر بسبب عوامل تاريخية واجتماعية ... [لكنّ الثاني يقول إنّ :] التخطيط اللغوي يحاكي بشكل من الأشكال المجرى الطبيعي لتطوّر اللغات ... فلئن كانت السياسة اللغوية في المحصلة من مهام أصحاب القرار فإنّه لا يمكن الاقدام على أيّ قرار دون وصف دقيق للأوضاع ... [من مثل] المتعلّق بالنظام الفونولوجي والمعجمي والتركيبي ... وكذا أحاسيس الناطقين اللغوية والعلاقات التي يقيمها المتكلمون مع اللغات التي يحاذونها يوميًّا ، فطالما حدّدت السياسة بوصفها فنّ ما هو ممكن ... فدور اللساني الأساس ؛ أنه هو الذي يقوَى على الافصاح عمّا هو ممكن القيام به، من الوجهة التقنية، وما سيكون مستحسنًا... من الناطقين ... [ثمّ] التكامل الضروري بين العلماء وأصحاب القرار ، وفي هذا التوازن الصعب بين تقنيّات التدخل واختيارات المجتمع) [م . س . ن] ؛ فالأمر مشترك بين اللغويين والمختصين وحاجات المجتمع وطموحاته .

لكنّ (الابداع في اللغة وليد لوجود أفكار يراد التعبير عنها ، ووليد معرفة لغويّة تُعين المتكلم على تلمّس طريق التعبير عنه، وغياب المعرفة اللغويّة الدقيقة بطرائق التعبير في اللغة وراء كثير من المشكلات التي يتحدث الناس عنها فيما يخصّ نقل العلوم إلى اللغة العربية) [التحيز اللغوي ٢١٣] ، .

فلا بُدّ من التفكير الجدّيّ في الاستفادة من التفاعل بين المجهودين اللغويّ والعلميّ التطبيقيّ ، في التخطيط لاستيعاب الجديد العلمي والحضاري لتدارك ما يُراد من تخطيط مضادّ، استنادًا إلى الاقتراض والتوليد والتعريب ، ذلك بعد اقتناع أهل اللغة بضرورة تطويرها وتحديثها مصطلحيًّا وأسلوبيّاً لتناسب العلوم والمستحدثات؛ (وقد أثبتت التجارب العلمية أنّ تعليم العلوم باللغة القوميّة أكثر فائدة من تعليمها بلغة أخرى ، فقد أجرت الجامعة الأميركية ببيروت أواسط الستينيّيات تجربة...[اعتمدت فيها] مجموعتان من الطلاب تلقت الأولى دروسها في مادة علمية معينة باللغة الإنكليزية وتلقّت الثانية دروس المادة نفسها باللغة العربيّة، ثمّ أدّت المجموعتان الامتحان في تلك المادّة، فكانت النتيجة أنّ الأولى قد استوعبت نحو ٦٠٪ من المادة...والثانية ٧٦٪) [العربيّة والأمن اللغوي ٨٢].

وإذا كانت اللغة «أيّة لغة» أداة اتّصال، يمكن تطويعها، وتحسين أدائها بالتدخّل في تطوير استعمالها صوتيًا وصرفياً ونحوياً ومعجميًا لما يناسبُ العلوم، ولا يخرج عن نظامها العام وقواعدها، ومن ثَمَّ تقويم هذا التطويع ومراجعته، مثلما يحصل لتغيير جزء الآلة أو قطعة من قطعها، وهذا التبسيط هو رأي ف . تولي [ينظر : السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي٢٠ ـ ٢١] .

فاللغة في كتاب ف . تولي «مقدّمة لنظريّة التخطيط اللغويّ» أداة يمكن تحسين اشتغالها [عن م . س ٢١]، ولذا فإنّ التغيّر في هذا التوجه ينطلق من

اللغة نفسها، من التغيّر المخطّط له الذي يأتي ليدعم بروز الأمم وتماسكها، ويدافع عن وجودها وتحقيق مستقبلها واستقلالها، وإنَّ تركَ الحبلِ على الغارب، وفتحَ الأبوابِ على مصاريعها قد يصاحب تفكّك بعض البلدان إلى كيانات سياسية وثقافيّة متنافرة، وربما متناحرة ومتحاربة بعد أنْ كانت مجتمعة تحت دولة واحدة، ومصداق هذا ما صاحب الأعمال العسكريّة لتمزّق يوغسلافيا سابقًا ، التي كان شعبها موحّدًا يستعمل لغة واحدة هي الصربية ـ الكرواتية [يُنظر : م . س ١٢٤] .

## توطين مادّة العربية العامّة في الأقسام الأخرى وتوظيفها علميًّا

إنّ مفردات مادّة اللغة العربيّة العامّة الحاليّة لا تفي بحاجة الطلبة في الأقسام الأخرى ، ولا تجذبهم لاستعمال لغتهم في اختصاصهم، ولا تنسجم والمقرّرات العلميّة لهذه الأقسام ، ولا تُحفّز أهل الاختصاص للعناية بلغتهم العلميّة، لغتهم الوطنيّة، ولغة بحوثهم ، ولغة اتصالهم بمجتمعهم؛ وإنّ هناك شعورًا عامًّا بعدم جدوى مفردات العربيّة العامّة الحاليّة ، ولا رغبة فيها أو قناعة باستمرارها ، وكأنّها من الفرض ولزوم ما لا يلزم ، وهذا ينسحب على من يدرّسها ، إذ لا يجدُ تجاوبًا يناسب ما يبذل من جهود ، فضلاً عن أنّ هناك شعورًا بأنّ هذه المفردات أدنى من مرحلة الاعدادية .

وإنّ التفكير الجدّيّ في توطين موادّ هذا الدرس وجعله درسًا تطبيقيًّا ، يناسب كلّ اختصاص ضرورة علميّة ، ليتمكّنَ الطلبة من تداول علمهم بنصوص لغويّة سَلِسَة تتصل بصميم اختصاصهم ، وبلغة عربيّة صحيحة سائغة ، ترصّن لغة ما عندهم من مضامين علميّة ، وترقَى باستعمال لغتهم العربيّة لغة علم عالية .

أمّا الأهداف من توطين هذا الدرس فلا بُدّ أنْ تكون معلومة للطرفين اللغويّ والتخصّصي؛ ومحدّدة تحديدًا واضحًا، تتحقّق فيها الأهداف التعليمية والسلوكية الأدائية ؛ فالمعجم اللغوي أو الاصطلاحي الذي يحوج أهل الاجتماع استعماله غير المعجم الجغرافي أو معجم الفلسفة أو التاريخ أو علم النفس ... إلخ ، وكذا في المستوى الصرفي والتركيبي والنصّي... إلخ .

والاختيار الصحيح للمفردات لا بُدَّ أنْ يتصل بالاختصاص واللغة والمتعلّم، كأن تميّز الكلمات الأكثر شيوعًا في معجم الكلمات الضرورية ، وربط البنى النحوية المناسبة بالأحداث الاتصالية ، وكذلك اختيار النصوص الأساسيّة المهمة التي يحتاجها المتعلّم في تخصّصه، ولاسيما ما يكشف عن مشكلات ويظهر خبرات ويبيّن تجارب على وفق منهج تدرّجي يناسب المواقف الكلاميّة ، والمعايير الموضوعية ، بربط المادة اللغويّة بوظيفتها ودلالتها وبأجواء جملتها ونصّها ، وشواهدها من الاستعمال اللغوي الواقعي ، أي التركيز على قواعد الاستعمال لا مجرد حفظ المقررات النحوية المعروفة [علم اللغة التطبيقي ٧٥] ، فالنحو مرجع لمعرفة أنماط التراكيب، ولفكّ ما يظهر في النصّ، مثلما يكون المعجم مرجعًا لدلالة المفردات ... إلخ .

## الهدف من التفكير في التغيير

إنّ استمرار الخليط اللغويّ بين العامية المحليّة ، والأجنبية المكسّرة ، والعربية الشائهة، ينذر بخطر زيادة الفجوة بين الجامعات ومجتمعاتها ، (ففي الثلاثين سنة الأخيرة شهد تعليم العربية انحدارًا ملحوظًا، وأصبح مألوفًا جدا أنّ المتخرّج في الجامعة لا يحسن التكلم بالعربية، ولا يحسن كتابة صفحة بالعربية الفصحى الصحيحة) [علم اللغة التطبيقي٨٩] فلا بُدّ من التفكر في النهوض وجعل كلّ قسم من أقسام كليّة الآداب مثلاً مجالاً للبحث

في المشتركات الموجودة بين هذه الأقسام في مرحلة الدراسات الأولية والعليا ، كعلم اللغة النفسي وعلم النفس اللغويّ ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وعلم اللغة الجغرافي ... إلخ ؛ وأنْ ترعى البحوث المشتركة بين هذه الاختصاصات ، ما يؤسّس لخدمة اللغة العربية وهذه الاختصاصات التي هي في النتيجة لغة المجتمع ولغة القرآن الكريم.

أمّا في المرحلة الأولى فالتفكير في تسريب القواعد اللغوية التطبيقيّة التي ترسّخ المهارات اللغويّة الأساسيّة، ولها صلة مضمونيّة بالاختصاص العلميّ، والاستعانة باختبارات جدّيّة تعليميّة، تعرض على الطلبة قبل الاختبار، ترفع مستوى الأداء والتفكير، ومن مضامين علميّة ولغويّة قريبة من أجواء المتعلمين، ومن مكمّلات هذا التوجّه تفصيح العامّيّ، والتعويد على الأساليب والصياغات اللغويّة الصحيحة، والتفكير في التعريب، والاطلاع على المعجمات العربية العامّة والتخصّصيّة، ومنها كتب المصطلحات التي تناسب كلّ تخصّص، وتصحيح الأخطاء اللغويّة الشائعة، ولاسيما في النصوص العلميّة المهمة .

والسعي الجاد في الربط بين العربيّة العامة والترصين اللغويّ للمقرّرات العلميّة لكلّ اختصاص، لأنّ تحسين مستوى الأداء اللغويّ يتّصل اتّصالاً مباشرًا بمستوى التفكير، ويُبرزُ طاقات الاستيعاب والفهم والتعبير، لأنّ الاستعمال الأفضل للألفاظ والمعاني لما يُناسب كلّ اختصاص يرفع درجة تمكّن المختصّ من العلم واللغة، ويزيل حاجز الضعف والخوف من استعمال العربيّة في البحث والكتابة والاتصال بالمجتمع، ويُعرّفُ بطاقات اللغة العربية وامكاناتها الغائبة عن كثير من المختصّين ، وكذلك من الذين يباشرون تدريس العربيّة العامّة .

## اجراءات توظيف العربيّة العامّة

١ ـ بناء منهج علميّ وعمليّ مناسب يشترك فيه المختصون باللغة العربيّة، وأهل الاختصاصات الأخرى، لوضع الخطط والتدابير القريبة والبعيدة، من التي تفتح الآفاق أمام البحوث والرسائل والمؤتمرات لتحقيق ما تقدّم .

٢ ـ تنظيم حلقات نقاشيّة علميّة، تعرضُ فيها أهمّ مواصفات النصوص العلميّة الصالحة للتطبيق اللغويّ، من التي يُراد لمعلوماتها أنْ تَعْلَقَ في أذهان الطلبة لأهميّتها، ومحاولة التدريب على تفصيح ما يتداوله الطلبة بالاستفادة من أجواء ما يُدرّس في هذه الأقسام ، وتشجيع الفعاليات التي ترتفع بالأداء اللغويّ العلميّ التطبيقيّ .

٣ ـ اعداد مستلزمات هذا التوجّه ورعايته ، وجعله نشاطًا علميًّا مستمرًّا، من مثل اعداد ورشة لتدريب المتصدّين لتدريس العربية بالمواصفات التي ستقرّ، ووضع المفردات التي تناسب كلّ قسم بعد حوارات علميّة مناسبة، وتقويم المتحقّق من هذه التجربة في كلّ فصل من فصول السنة التعليميّة ، باعتماد اختبارات جدّيّة تقيس المستوى وما يتحقّق من تطوّر .

٤ ـ التركيز على استعمال المعجم العربي التخصّصي ، والتعريف بمنجزاته وصلته بالمعجم العام ، والافادة منهما على أفضل وجه، لأسباب منها نظام المعجم العام الذي به حاجة إلى تدريب على الاستعمال، لأنّ استعماله يوجب معرفة جذر الكلمة وبابها وأسرتها وتصريفها، فالكلمة المراد الوصول إلى معناها تنتمي إلى جذر لا بُدّ من معرفته قبل التفتيش عنها في المعجم، فربما كان من العسير معرفة جذر مثل : (الاناقة) جذرها (نوق) ، و(اتّصال ، صِلة) جذرهما (وصل)، وكلمة (ادّخر ، المُدّخر) جذرهما (ذخر)، و(الاضطراب، والمضاربة) جذرهما (ضرب), وهكذا؛ فلا يمكن الاستغناء عن التفكير في الجذور

لأنّ اللغة العربية لغة اشتقاقية ومن الضروري أنْ يجد المتتبّع في المعجم اشتقاقات المفردة ومعانيها في مكان واحد، وإنّ ما يصعب الوصول إلى جذره ليس بالكثير الذي يصعب الالمام به ، والتدرّب على معرفته ضروريٌّ، ذلك بعد جمعه وعرضه في محاضرة أو أكثر، لأنّنا نعرف أنّ دارس العربية في مراحل التعليم كان قد اطّلع على تصريف الأفعال والأسماء المشتقة ، فالتنبيه ضروريّ على مثل : وعد، يعد، عِد، عدة، موعد، ميعاد، استعداد ...إلخ ، ومثل : وقى، يقي، قِ، قوا، قِيا، اتقى، وقاية، تقوى... إلخ، وقد يكون الحاسوب وسيلة تُيَسّرُ الوصول إلى الكلمة ومعناها وإنْ لم يُعرف جذرها .

أمّا جعل المعجم يناسب تطوّر العلم، وروح العصر، فهذا ما يوجب التفكير في التجديد وصنعِ معجمٍ لكلّ اختصاص، إذ ما عاد الرجوع إلى معجم قديم بكافٍ ولا شافٍ، وهذا ما يلزم المعنيين بنهضة لغويّة تستجيب لما يُلبّي الحاجة ويحقّق الطموح؛ في اطار حركة ترجمة وتأليف ومراجعة، لاستيعاب تدفّق المفاهيم العلمية، وسيل المصطلحات التقنيّة والحضاريّة الوافدة، بتسجيل الجديد في العلوم والفنون في شتّى التخصّصات ومتابعة ما يستجدّ منها أوّلاً بأوّل؛ وهذا ما فعله أهل العربية في نهضتهم العلميّة في القرون الهجريّة الأولى، وقد استعانوا بما كان موجودًا من لغة عند العرب ، ثمّ ما تمخّض عن التفاعل مع الأمم الأخرى من معارف نظريّة وتطبيقية، فعادوا إلى لغتهم ليشتقّوا منها ألفاظًا جديدة، أو معاني تناسب الانتقال إلى حياة مدنيّة راقية، وتعبّر عن أفكار لم تكن معروفة [مقدمة لدراسة التراث المعجمي ٣٩٠] .

إذ لا بُدّ من التفاعل مع هذا الجديد من جهة ، ومن الجهة الأخرى أنْ تراعى لغة المُستعمِل ، وطريقة نطقه ، ونظام اشتقاقه الصرفي ، وبناء ما يمكن أنْ يُقبل من الألفاظ الوافدة والمبتدعة والمولّدة ، وأنْ لا بُدّ أنْ تخضع المفردات الجديدة والمصطلحات نظام هذه اللغة ، إذ يجب (احترام عبقريّة اللغة واحاسيس الناطقين بها) [السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي ٥٧] ، وهنا تبرز أهمّيّة التخطيط اللغويّ وضرورة الاستعانة بالخبراء ، لتحقيق الانسجام بين الجديد والقديم ، استنادًا إلى مراعاة هذا المستعمل والافادة من الخزين اللغويّ عنده واختيار ما يستجيب له الذوق اللغوي العام وكأنّه يجري عفويًّا ثمرة من ثمار المواءمة وحسن اختيار العلماء ، مثلما عُرّب من كلمات مألوفة مأنوسة : كسيارة ، وقطار ، وطائرة ، وذرّة ، ومصرف ...إلخ ؛ فعلى المعجم المتخصّص أنْ يتصدّى لعرض الألفاظ والمعاني التي تناسب النشاط المعيّن لأي اختصاص ، ويتخلّص من القيود التي تضيّق على الابداع في التشريع اللغويّ والمواءمة بين ما يناسب العلم ، ويستجيب لحاجة المستعملين ، ويطابق طبيعة اللغة ونظامها العام .

ومعجمات التخصّص هي المعجمات التي تتخصّص بموضوع واحد ، وهي تطوّرٌ لما كان يُعرفُ أيضًا بـ (معجمات المعاني) ، ومنها المعجمات التي جمعت ما يتصل بموضوع بعينه ، مثل : كتاب (الإبل) ، و(جبال العرب) ، و(خلق الإنسان) وغيرها ، وفي هذا العصر صدرت العشرات من معجمات المصطلحات ، كمعجم الجيولوجية الصادر عن مجمع اللغة العربيّة في القاهرة عام ١٩٦٥م ، ومعجم مصطلحات أمراض الأنف والأذن والحنجرة ، ومعجم البناء ، ومعجم الأطعمة ، ومعجم الحرف والمهن عام ١٩٧٠، عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، والمعجم الجغرافي ١٩٧٤ ، ومعجم الكيمياء والصيدلة ١٩٨٣ ، ومعجم الفيزياء ١٩٨٤..

## الخاتمة

إنّ أهميّة اللغة ترتبط بمكانة المجتمع ودولته ، إذ يُؤرّخُ لتراجع عالميّة اللغة الفرنسيّة بعام ١٩١٩م، فقد طالب الرئيس الأمريكي ولسن بأنْ لا تحرّر معاهدة فرساي باللغة الفرنسيّة وحدها ، كما جرت العادة حتى هذا التاريخ ، وفي هذا المقطع كانت عقدة فرنسا اللغويّة بإزاء الإنكليزية ؛ وأنّ السياسة الفرنسية اللغوية صارت تعالج على أعلى المستويات ، فكان فرانسوا متران على سبيل المثال يرعى الهيئات المتعلّقة باللغة والفرانكفونية وبكل ما يتصل بهذه المشكلة ، مشكلة تأخرّ اللغة الفرنسيّة بإزاء الإنكليزيّة [السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي ١٢٠].

أمّا نحن في الجامعات والكليّات فعلينا أنْ نفكّر في التخطيط من مستوى أدنى، ولا ننتظر التخطيط المركزي للدولة التي تواجه تحديّات داخليّة وخارجيّة .

ويسند هذه الدعوة ويقوّيها همّة المخلصين وحرصهم ووطنيتهم وشعورهم العالي بالمسؤوليّة ؛ وأخيرًا ... فهل بإمكان أبناء هذه الأمة من شبابها الطموح أن ينهض بلغته الوطنيّة لغة القرآن الكريم ، ليسجّل تواصلاً علميًّا مع مجتمعه ، بها لا بلغة أخرى غريبة عنها ؟ !

هذا ما ننشد ...والله المستعان.

## المصادر والمراجع


١- الاحكام في أصول الأحكام، لابن حزم ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٢- التحيز اللغوي ، د . حمزة بن قبلان ، الرياض ، ١٤٢٥ه .

٣- السياسة اللغوية ، لويس جان كالفي ، ترجمة محمد يحياتن ، الجزائر ، ٢٠٠٩.

٤- الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث ، د محمد الكتاني ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢م .

٥- العربيّة والأمن اللغوي ، نظرة معاصرة ، د . زهير غازي زاهد ، بغداد ٢٠١٢.

٦- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، د . عبده الراجحي ،الاسكندرية ، ١٩٩٥ .

٧- العربيّة وتحدّيات العصر ، محمود أحمد السيّد، ٢٠٠٨م .

٨- في المصطلح ولغة العلم ، د . مهدي صالح سلطان ، المجمع العلمي بغداد ، ٢٠١٢ .

٩- اللغة والثقافة ، د . كريم زكي ، مصر ، ٢٠١٠ .

١٠- مجلة آفاق الثقافة، الرفاعي د محمود فيصل، كيف تسهم التكنولوجيا في النهضة، العدد ٩، دبي ١٩٩٥م.

١١- مجلة الفكر التونسية ، نور الدين كريدس ، اللغة بين معرفة الواقع وواقع المعرفة ، العدد ٢٩ ، ١٩٨٤.

١٢- موقع مجمع اللغة الأردني ، بحث الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق الزبون .

١٣- ويكيبديا الموسوعة الحرة الانترنت .